

الأدب الرقمي والنقد الثقافي التحولات والتفاعلات

Digital Literature and Cultural Criticism Transitions and interactions

د. دراجي سعيد
المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة - الجزائر
Saididerradji@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2022/01/31

تاريخ القبول: 2021/05/29

تاريخ الإرسال: 2021/05/13

- الملخص:

يطمح هذا البحث إلى فحص افتراضين نابعين من الإشكالية التالية: ماهي أسئلة التحولات التي طرأت على الأدب والنقد، وما هو حوار التفاعلات بينهما وبين الرقمية والمعارف الأخرى؟ الأول يتعلق بالنص الرقمي باعتباره مدونة، أفرزت منظورا جديدا للأدب، وأنتجت مفهوما مغايرا للثقافة والمثقف في العالم الغربي ثم في المشهد الثقافي العربي. ويتعلق الثاني بالنقد الثقافي تنظيرا وإجراء ومنهجاً للقراءة، والذي يسعى إلى الكشف عن الجمالية الجديدة في هذا الإبداع بأجناسه المتنوعة، بعد أن صار يوظف لغة أكثر تعقيدا من لغة الأبجدية اللغوية.

الكلمات المفتاحية: الأدب - الرقمي - النقد - الثقافي - التحولات - التفاعلات

Abstract:

This research aspires to examine two assumptions stemming from the following problem: What are the questions of the transformations that have occurred in literature and criticism, and what is the dialogue of interactions between them and between digital and other knowledge? The first relates to the digital text as a blog, which has given rise to a new perspective on literature, and produced a different concept of culture and the educated in the Western world and then in the Arab cultural scene. The second relates to cultural criticism, a theory, a procedure, and a method of reading, which seeks to reveal the new aesthetic in this creativity with its various races, after it became employed in a language more complex than the language of the linguistic alphabet.

Keywords:

literature - digital - criticism - cultural - transformations - interactions

مقدمة:

لقد تزامن مفهوم النقد الثقافي في الوعي الغربي مع ظهور أجناس أدبية تفاعلية رقمية في المسرح والرواية والقصيدة والتي كانت حصيلة تراكم معرفي وتطور علمي، أدى إلى تطوير إبداعاته من خلال المنجز الشبكة العنكبوتية التي أحدثت تغييرات جوهرية، في الحياة وفي نمط الإبداع، وتقاربا بين الأدب الرقمي والنقد الثقافي، وجعلت هذا الأخير يقدم مقاربة لهذا النوع من الأدب الذي لا يمنح جمالياته من توظيف الكلمة وحدها، بل مما تبوح به الأيقونات المشبعة بالأفكار والمشاعر.

في ظل هذه التحولات والتفاعلات نرى أن الموضوع ينطوي على إشكالية معرفية قائمة على جملة من التساؤلات: هل ستسهم التجربة الإبداعية الرقمية وانفتاح الأنساق الثقافية على بعضها البعض، في إثراء التجربة وغناها وجمالياتها، أو ستؤدي إلى إفقارها فضلا عن القطيعة التي قد تحدثها مع الأدب في شكله الورقي؟ كيف صار النص لا ينمو بشكل خطي، ولكنه صار متحركا يتنامى بشكل متشعب في كل الاتجاهات؟ وهل يعني هذا أن طبيعة الوسيط الرقمي هو الذي يحدد الصيغة الملائمة لجمالية تلقي الخطابات الإبداعية؟ وكيف ينظر النقد الثقافي - تنظيرا وتطبيقا - إلى هذه الجماليات؟

2. أسئلة التحولات:

هناك تحولات متسارعة تشهدها الكتابة الرقمية العربية في علاقتها بالتحولات الثقافية، وهو ما نتج عنه إبدال جديد، غير منظور الإنسان لنفسه وللآخر وللكون، فتحول الواقعي إلى افتراضي، والنص من الفضاء الورقي إلى فضاء نصي رقمي، كما تغير مفهوم المكان/الزمان والمؤلف/القارئ، والنقد/الجمالية، مما يستوجب انخراط المثقف العربي في سياق الأدب الرقمي مع رصد الثابت فيه والمتحول، تحول وقع في الأشكال والمضامين، من أجل تحقيق الذات أدبيا وفنيا وفكريا واجتماعيا ودينيا، إنه حدث إنساني لإثبات وجود رقمي على الأقل.

2.1 سمات جديدة لنص جديد:

تتشكل نصوص الإبداع الرقمي من مفردات اللغة الرقمية، وهي لغة معقدة، وتزداد تعقيدا مع توظيف ملكة الإبداع، فقد تراجعت الكلمات أمام سطوة الأيقونات والصور المحملة بالأفكار والانفعالات، وهو ما يبرر حالة الاختصارات المتعلقة بالتعبيرات، بهدف التمرير السريع للأفكار والمفاهيم في زمن محدود، وبضربات قليلة على لوحة المفاتيح، فلا مجال للاستطراد والشرح.⁽¹⁾

فالنص الرقمي جنس أدبي متشعب، يجمع بين الأدبية والمعطيات التكنولوجية الحديثة، إنه يعني « مجموع الإبداعات التي تولدت مع توظيف الكمبيوتر، ولم تكن موجودة قبل ذلك، أو تطورت من أشكال قديمة، ولكنها اتخذت مع الحاسوب صورا جديدة في الإنتاج والتلقي »⁽²⁾ إنه أحد الفضاءات التي أوجدها الإنسان منذ القدم، باعتباره فضاء موازيا لفضائه الواقعي، وعمل على أن يحفظ كل ذلك في الذاكرة خوف النسيان، من خلال النقش على الحجر والكتابة على الورق ثم على جهاز الحاسوب .

إن فضاء النص الرقمي مختلف عن فضاء النص الورقي، حيث لا يبدو من النص الرقمي إلا ما يقدم من خلال الشاشة في شكل شذرات، تتكون من روابط يتم تنشيطها بالانتقال إلى عقد أخرى تكون خافية قبل عملية التنشيط، إننا أمام تعدد الأبعاد التي تمنحنا فرصة الإبحار في فضاء النص، لا تراعي منطق التسلسل بين تمفصلاته، إنه إبداعية لا تتوقف على مدى اعتماد الكاتب على التقنية الرقمية، وإجادته لها في الممارسة التطبيقية والتطبيقية، بل بنضج العملية الإبداعية، من حيث البناء وقوة التخيل.

2.1.1 النص الإبداعي الرقمي وأجناسه :

يتمظهر النص الرقمي على الشاشة الزرقاء في أشكال متعددة منها: الشجري والنجمي والتوليقي والجدولي والترابطي أو الشبكي، وأهمها الشكل الجدولي الذي يمزج بين النوع التوليقي والنوع الشبكي، ويتيح للقارئ حرية الانتقال، ويمنحه احتمالات أكبر للتفاعل، بالنظر على العنوان ليبحر بعدها بين عقد النص، فهو بمثابة المرفأ الذي ينطلق منه ويرجع إليه،

للتخلص من مآهات النص وتشعباته، فهما معا يجسدان البعد الافتراضي للنص المترابط، فيمنح الكاتب فرصة إنتاج نصه المتفرع، كما يمنح القارئ حرية البحث.⁽³⁾

ونقف عند بعض التجارب في الإبداع الرقمي العربي، بأجناسه الثلاثة:

- تجربة المسرح الرقمي المقترحة في العالم العربي؛ والتي أنتجت عبر تقنية النص المتفرع - وكانت متأثرة بالمسرح الرقمي الغربي - وهي مسرحية « مقهى بغداد » أَعَدَّهَا أساساً حازم كمال الدين بالإشتراك مع بيتر فيرهایس Pitre verhees ونفذها المَعْدَّانِ مع مجموعة من الممثلين العرب والأجانب، وهي تعبر عن تشظي العراق، ولا تظهر متكاملة إلا عبر البعد الافتراضي، فهي موزعة في البيوت البغدادية والبابلية والموصلية والبلجيكية، تجمع أشلاءها شبكة الأنترنت، وعملت على تحويل الهامش من مسائل - أنظمة الألوان والأشكال والكلمات والنغمات وحركات الرقص - مركزاً، ومن المركز هامشاً.

- الرواية الرقمية، وأول ظهور لرواية تفاعلية رقمية في الأدب العربي كانت على يد الروائي محمد سناجلة من خلال روايته « ظلال الواحد » عام 2001 بعد ظهور الرواية الرقمية في الغرب عام 1996؛ والذي اعتمد في إظهارها على تقنية hyper - link أي الروابط المستعملة في بناء صفحات (الويب Web) ثم كانت على شبكة الأنترنت في موقعه.

- القصيدة الرقمية صدرت في سنة 2007 أول مجموعة رقمية عربية بعنوان «تباريح رقمية لسيرة بعضها أزرق» لمشتاق عباس معن، بعد ظهور القصيدة التفاعلية الرقمية في الغرب سنة 1990⁽⁴⁾

هذه الإبداعات وظفت الممارسات الثقافية المختلفة؛ التي قد تنتمي إلى بيئات وفلسفات متباينة في المظهر والجوهر، غير أن ما يوحدنا هو اللسان العربي، وإن كانت المؤثرات السمعية والبصرية المنتقاة هي عالمية في إبداعها ونشأتها، تسمح لنفسها بالحضور الحي المتفاعل.

2. 1. 2 الأدب في مواجهة مجاهيل العالم الرقمي :

إن إخراج النص الرقمي يضيف للنص تقنيات فنية، دون أن تفقده جوهره وماهيته، فقد يكون النص مكتملا من قبل المبدع، لكن الإخراج قد يمنحه صورة أخرى ، ويفتح له مجالا آخر من قبل القارئ، وهذا يعني أن الكتابة الرقمية تتداخل فيها مجموعة من الروابط والمسارات والعلاقات وتتجاور، لتشكل في النهاية كيانا نصيا لا نهائيا ولا مكتمل البناء والقراءة، لكن مجرد الربط أو الترابط بين مقاطع النصوص وشذراتها المختلفة لا يشكل في النهاية ما يسمى بالنص الأدبي الرقمي، كما أن التركيز على الربط بين هذه العناصر المختلفة والمتعددة ليست كافية للوصول إلى مرتبة القراءة المترابطة ؛ القائمة على التفاعل. (5)

فالكتابة الرقمية صارت ورشة مفتوحة على إمكانات عدة، عبر تنوع الروابط المتشعبة، وإمكانية تعديل النص « فصحة الكتابة الرقمية (الشاشة) يجب النظر إليها باعتبارها جسدا رباعي الأبعاد، فبالإضافة إلى الطول والعرض والصفحة، ثمة بعد رابع غير مرئي، بمثابة متاهة أو عمق لا متناه، يتضمن في الحقيقة مجموع النصوص الموجودة في الشبكة » (6)

واختلفت مواقف الناس تجاه هذا النوع من الأدب فمنهم من يرى وجود قطيعة بين الأدب في تجليه الرقمي، والأدب في ظهوره كنص مطبوع/ورقي، ويعتقد آخرون أنه إضافة، وخاصة إذا علمنا من خلال نظرية الأجناس الأدبية؛ التي لا تقول بموت جنس أدبي، ولا بتلاشي شكل تعبيري ————— ري بشكل نهائي، وإنما تستمر هذه الأشكال التعبيرية، سواء كخلفية نصية أو يدخل في علاقة جديدة مع النص الجديد، ليستمر وجوده ؛ باعتباره ذاكرة للكتابة والنص.

2 . 2 إبدالات في أطراف العملية الإبداعية :

لقد تغيرت أطراف العملية الأدبية، فلم تبقى كما كانت من قبل ثلاثية الأبعاد: كاتب، نص، قارئ، وإنما صارت رباعية الأبعاد، عندما تدخل الوسيط الإلكتروني طرفاً أساسياً في العملية الإبداعية بين المنتج والمتلقي، واتخذت مقولة (موت المؤلف) أو اختفاء دوره بعداً آخر في العملية الإبداعية؛ وخاصة مع النقد الثقافي، كما أن مقولة القصة والقرآن أخذت دلالات أكثر وضوحاً وعمقا، إلى جانب ذلك نجد تعدداً للأدوار وتبادلها ما بين الكاتب والقارئ، هذا التطور جعل بعض النقاد يذهبون إلى القول: « وكأني بالأديب الجديد في عصر العولمة، يرى لزماً عليه تطوير إنتاجه الأدبي، ليتلاءم مع العصر؛ من خلال استثمار منجزاته التكنولوجية في تطوير إبداعاته، فيدمج في إبداعه الأدبي الصورة والصوت بمختلف الصيغ والأشكال؛ التي تفتح له آفاقاً جديدة في الإبداع والتعبير»⁽⁷⁾.

2 . 2 . 1 الأديب والتحويلات الثقافية:

صارت الدعوة ملحة إلى تجديد الوعي بالنص والإبداع والنقد، وفتح الآفاق التي عليها أن يرتادها، ليجدد تصورات وأدواته، ليرقى من خلال إبداع جديد، ويسهم في تشكيل وعي نقدي يواكبه، ويتسلح ليس فقط بالعلوم اللغوية والبلاغية، ولكن عليه أيضاً أن يفتح على مجالات تتصل بالتشكيل والصورة والرسم والموسيقى، وعلى علوم تتصل بالإنسانيات والمعرفيات والذكاء الاصطناعي والرقميات والإعلام والتواصل، وتساءل بعض الباحثين عن الإبداع، هل كل جديد يعد إبداعاً؟ ومع معطيات الرقمية بكل وسائطها المرئية والمسموعة والمكتوبة والممغنطة والإلكترونية، فماذا عن حال الإبداع فيها؟ وما تأثيرها في المتلقي؟ وهل هناك مفهوم جديد للإبداع بالنظر إلى هذا المعطى الجديد ؟⁽⁸⁾

لقد استطاع الأدب الرقمي رغم حداثة ظهوره « أن يؤسس جمالياته الخاصة بآليات جديدة، نص يتحدثنا بمعانيه المتمنعة وحكاياته النائية بين جدران المتاهة، فنصبر ونصطبر حتى نسبر أغواره، وبمجرد ما نصل إلى المكنون المتواري نسحر ونصير كالمجنون، عشاق نص أزرق سيبراني يصعب الشفاء منه »⁽⁹⁾ والحديث عنه يعد مغامرة لكونه ما يزال تجربة في طور التشكل والتنامي، تبحث لها عن موقع تفرضه تجاه الأدب المكتوب، وعن مفهوم يحدد معالمها، بسبب ندرة النصوص الإبداعية التي تشجع على ذلك، ولكنه أدب يتحرك كثيرا وهو أفضل طريقة لجذب المتلقي المعاصر شديد الألفة بالتكنولوجيا والتكيف معها .⁽¹⁰⁾

2. 2 . 2 الشاشة وتحولات القراءة :

إن الوعي النقدي بهذه التجربة الأدبية الرقمية، يدفع الناقد وهو يبحث عن الخصائص التي تميز هذا الأدب، إلى وضع تصورات ينطلق منه لمقاربة هذه التجربة، وأين مكن الجمالية فيه، هل يتمثل في الدعامة الرقمية أو في الروابط المستخدمة من قبل الكاتب والقارئ ومدى تمكنهما من التقاطعة الرقمية أو في التجاذبات بين أطراف العملية الإبداعية؟ لكن الإلمام بالثقافة الرقمية لا ينبغي أن يتحول إلى تنظيرات نقدية توطر عملية الكتابة الرقمية، أي أن النصوص الإبداعية هي الكفيلة بتطوير ثقافة القارئ، والمنطق الذي يصدر عنه هذا النوع من الأدب.

أما الجديد في قراءة الأدب الرقمي؛ فإنه يتمثل في فك شفرات هذه الكتابة « الشذرية » ولا شك في أن الأدب لارتباطه الوثيق بالـ « لغة » هو من أكثر الفنون قدرة على التعبير عن مفهوم التشظي، فاللغة تقطيعية في جوهرها، فبمجرد الدخول على الرابط الإلكتروني؛ الذي يحمل نص « الحفقات » لإسماعيل البويحيوي والنقر عليه، سينفتح النص مباشرة على مجموعة من النصوص أو الشذرات القصصية التي شكلت النص العام للحفقات، ومجموعها 30 نصا قصصيا، كل نص يحمل بنية دلالية تركيبية خاصة، صممت على الشكل الجدولي الأفقي والعمودي.⁽¹¹⁾

تسعيرة	عصا الجنة	خياركم	ريح الورد	أبو لهب	يوم
حبل النار	صلاة النار	بستاني الخليفة	غمزة	سبعيني	ثمانيني
عشق	أفق	ورد فبراير	تشكيل	وطن الطز	حب
الطبل	الأبيض والأسود	لحفيظ الله	درس نموذجي	قصاصة	فلاشات
أنا وأنا	صلاة المغرب	عبل	ساحر	كرامة	أبو سرير

جدول رقم (1) يبرز المجموعة القصصية « حفات جمر » بتصرف

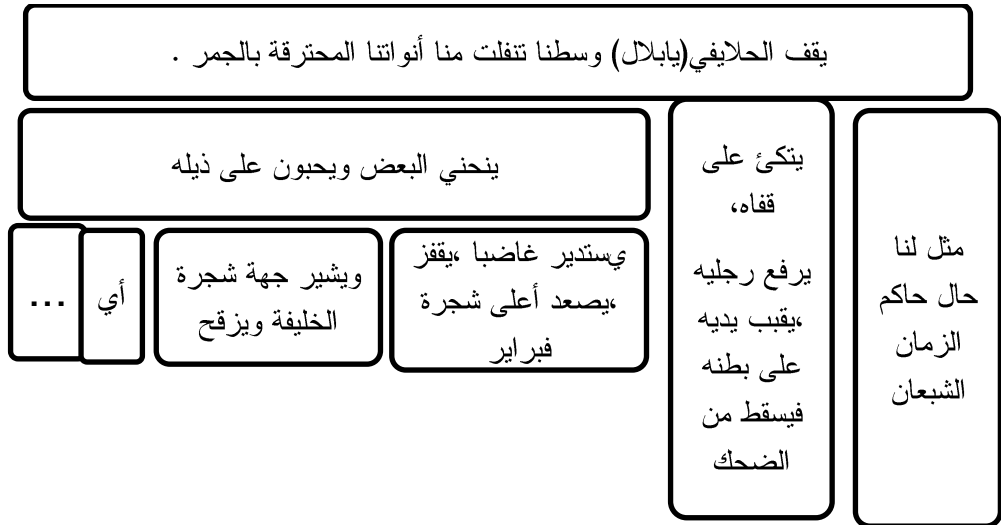
لقد أنتجت التقنية الرقمية ذائقة جديدة عن طريق الكتابة والقراءة معا، نظرا إلى تغييرات عديدة وجوهية ومنها: الكتابية باعتبارها ورشة مفتوحة على الدوام للكاتب والقارئ، فالكومبيوتر فتح آفاقا عدة، وإمكانيات جمة كالإدراج وتحميل النصوص وتحرير الكتابية والنصوص بالإضافة والحذف وقابلية الاستنساخ (12)

2. 3 تأملات في طبيعة الوجود الرقمي :

إن الوعي بطبيعة هذا الزمن التكنولوجي، يتشكل بالانخراط فيه تنظيرا وممارسة، إنه تحول في الزمان والمكان والفرد والمجتمع، لقد أعيد النظر في منطق المكان والزمان في الحياة الاجتماعية، وذلك نتيجة إقامة جسور بين الفجوة الحاصلة بينهما، بفعل التطور الهائل لتقنيات التواصل الإعلامية الجديدة، بصورة أو بعبارة أخرى على أنه انضغاط الزمان، والإحساس بانكماش المسافات من خلال الانخفاض الدراماتيكي في الوقت المستغرق، إما بصورة مادية أو افتراضية لاجتيازها، هذه الفكرة تلقي بظلالها على فكرة تمديد العلاقات الاجتماعية ؛ وإمكانية استمرارها عبر المسافة التي تحدث عنها أنطوني غيدر - Antony Guidders (13).

أما تسمية الأدب الرقمي، فذلك باعتبار ما يعتمد الوسيط من تقنية في إخراج النص، على أساس نظام العد الثنائي الذي يقدم على شاشة الحاسوب؛ هذا النوع من الكتابة الأدبية يكتسب صفة التفاءلية، بناء على المساحة التي يمنحها للمتلقي، والتي تعادل وربما أو تزيد على مساحة المبدع الأصلي للنص، مما يعني قدرة المتلقي على التفاعل مع النص، وهو هذا يتبرك للمتلقي مساحة لا تقل عن مساحة مبدعه، ليسهم من خلالها في بناء معنوي النص؛ الذي لا يكون نهائياً ولا مكتملاً، إنما في حالة حركة وتجدد وإنماء دائمة، كما هو الشأن في مشروع الكتابة الأدبية الرقمية عند محمد سناجلة؛ الذي راكم في حصيلته الإبداعية أربع روايات: « ظلال الواحد » و « شات » و « صقيع » و « ظلال العاشق »، التاريخ السري لكموش » وهو ما يشير إلى تميز هذه الخبرة في الكتابة الرقمية وتفرداها في العالم العربي . (14)

ويمكن لمؤلف « حفات جمر » أن يتلاعب بالكلمة عبر رسومات بيانية في مقطع ما، ليشكل معماراً هندسياً يتجول القارئ في جنباته، وقد يجد صعوبة في فهمها كما هو مبين في الشكل التالي : (15)



شكل رقم (2) يمثل شذرة قصصية من « حفات جمر » بتصرف

والمتتبع لهذا النوع من النصوص في الأدب الرقمي يلاحظ أن فكرة التتابع الزمني ومبدأ السببية تتلاشى، حيث تنساب الأحداث دون منطق زمني معين ، فتتقاطع الأزمنة وتتداخل، وما على المتلقي إلا أن يعيد تنظيمها مرة أخرى، وفق منطق معين لتتشكل في الأخير المفهوم العام للنص، وذلك على شكل الاختيارات التي على القارئ أن يختار واحدة منها لمتابعة النص، ثم يمكنه العودة إلى خيار آخر، وهو ما يشكل نوعا من التفاعلية، وهي من أهم خصائص التقنية الرقمية الجديدة.

والحقيقة أن الصورة في النص الرقمي المستخرجة من جهاز الحاسوب، أدت إلى تحولات جذرية في الثقافة الإنسانية، نظرا لكونها كمعلومة ، مع سهولة الحصول عليها والتعامل معها ثم تخزينها وإنزالها، وكانت الصورة من خلال الدراسات النقدية محددة بالوظيفة البيانية للصورة اللفظية، لكنها في مرحلة تالية تعامل معها النقد الثقافي بوصفها نصا ثقافيا ، والمقصود بهذا المصطلح الجديد، كـصورة وحدها قادرة على خلق حالة معرفية وشعورية تغني عن الكثير من الكلمات، وأرى أن القيمة الجمالية للنص لن تتراجع بسبب استخدام الوسائط التكنولوجية، بل ينتظر أن تغنيه، بل تجعله أكثر جمالا، وحاملا للكثير من الشحنات الدلالية بفضل الصورة والصوت والحركة واللون، فضلا عن أي كلمة في النص يمكن أن تكون رابطا لنص متفرع يضيء تلك الكلمة، أو تحمل تعليقا يظهر بمجرّد مرور مؤشر الفأرة فوقها، ليضيف معنى مخبأ.

2. 4 الخصائص الجمالية لتوظيف الكلمة والصورة :

هل يمكن للصورة أن تعوض النص اللغوي ، أو تعمل على إبعاد الكلمة من الوجود لصالحها؟ من منطلق من يعتقد بأن لكل علامة خصوصيتها، ولكل وسيط إمكاناته، يمكن القول أنه لا يمكن للصورة أن تتوب عن الكلمة، ولا للكلمة أن تحل محل الصورة، فقد تؤدي الصورة مالا تؤديه الكلمات، كما أن الكلمة يمكن أن تبلغ ما لا تبلغه الصور، يقول نبيل علي: « الصورة خير من ألف كلمة، لكن الكلمة خير من ألف صورة » (16)

فأساس التمييز بين الكلمة والصورة ، يكمن في القدرة على تجسيد ما تريد الصورة توصيله، أو تسعى الكلمة إلى تبليغه، فالغيرة على الكلمة أدت بالبعض إلى القول: إن هذا الحاسوب أو هذا العالم الافتراضي، سيظل حتى في المستقبل المنظور مهما شحذ ذكاؤه، و المؤثرات التي ينتجها، دون مستوى أداء تلك المهمة التي أدتها قريحة عنتره بالكلمة وحدها، محملة بالمحتويات الثقافية والدلالات الشعورية الذاتية النابضة. (17).

فلا يمكن التخلي عن الكلمة، لأنها تحولت إلى أيقونة وصارت تؤدي دلالتين: إحداها فيما تحمله من معنى أولي، والأخرى تكمن فيما تحمله من دلالة التنشيط والاختباء. ولكن هذا الجنس الأدبي الجديد إذا جـ_____ردناه من الكلمة، لن يبقى أمامنا سوى روابط وتقنيات إلكترونية، لا روح فيها .

نجد أنفسنا مدفوعين إلى ضرورة وضع رهانات جديدة للنقد الأدبي العربي، وهو إبدال معرفي حقيقي» يستدعي التفكير وتجديد النظر والعمل، وتوسيع مجال اهتمام الممارسة النقدية، لتتفتح على أشكال تعبيرية تتعدى المكتوب، إلى الوسائط المتعددة والمتفاعلة، فتجديد الدرس المعرفي والأدب العربي ضرورة تملئها التحولات الكبرى؛ التي يعرفها إنتاج النص وتلقيه، هذه التحولات تجري أبداً خارج فضاءنا الثقافي والمعرفي؛ في سرعة وغزارة التي يتطور بهما . (18)

كيفية يمكننا التعامل مع هذا الأدب الرقمي بأنواعه وأشكاله كنفاد ودارسين؟ قد يكون بوضع تصورات ومفاهيم جديدة، تتلاءم مع خصوصية هذا النوع من الأدب و العمل على استيعابها، مقروناً بإنجازاته الإبداعية، ومصحوباً بالفهم العميق لخلفياتها ومقاصدها القريبة والبعيدة دون حماس زائد أو عزوف متطرف.

3. حوار التفاعلات :

صارت التكنولوجيا وما تقدمه من خدمات أكثر جاذبية، وأن رفضها بدعوى التبعية والهيمنة لن يكون مجدياً في مجتمعات متخلفة، لذلك تصبح الدعوة إلى بناء مجتمعات قائمة

على احترام حقوق الإنسان والحريات، ضرورة للتحدي ومواجهة هذه التقنية الجديدة للتواصل؛ التي تتسم بالسرعة والانتشار الواسع والفاعلية، لأنها ليست مجرد وسيط محايد، وضع في خدمة العلم والمعرفة ، بعيدا عن المضامين التي يحملها ويروج لها « فهو حامل لقيم جديدة، أكثر من ذلك فهو طريقة في الوجود، ونمط في التبادل الاجتماعي، وسبب في انبثاق علاقات إنسانية من نوع جديد»⁽¹⁹⁾

إنها تعبر بشكل ما عن تفكير وثقافة مرحلة تاريخية معينة، الحياة تتغير وفق تغير نمط تفكير مجتمعاتها، ولعل هذا التحول في أدوات التواصل مع المعرفة، يساهم في تطور أشكال التفكير والتعبير، فلا يمكن فصل الأداة عن الإرث الثقافي الذي أنتجها .

1.3 نحو ثقافة مغايرة:

ليس من الصدفة أن يتزامن النقد الثقافي مع ظهور HYPERTEXTE أو النص المتفرع، فإذا كان النقد الأدبي وليد نص له جمالياته وسماته اللغوية الخاصة، فإن النقد الثقافي بالمقابل سليل هذا النص المتفرع؛ الذي أصبح يحتل مساحة واسعة على شبكة الأنترنت، بل وأصبح أيضا يجد تجليا له في فنون غير لغوية بالمقام الأول، بحكم هذه العلاقة؛ صار هذا الأخير هو الجدير بمقاربة هذا الصنف من النصوص ، الموجودة على مواقع الشبكة العنكبوتية؛ التي توظف أحدث التقنيات لصناعة كيان نصي، يمنح جمالياته من الإمكانيات التي تتيحها الثورة التكنولوجية، التي لا شك أنها تحول عميق في الرؤية إلى العالم.

يحدث ذلك حين يتفنن الكاتب بالكلمة، عبر رسومات بيانية ، يجتهد القارئ في فهمها، لما في النص من حوارات وصراعات، كما هو الحال في الرواية الرقمية (ظلال العاشق) التاريخ السري لكموش .⁽²⁰⁾ لكنه بالرغم مما في هذا الأدب الرقمي من إبداعية فإنه - حسب ما يراه بعض الباحثين - لا يقدم للقارئ ما هو أجمل مما تقوله الكلمة، و سيكون من العبث أن يرسم الشاعر بالكلمات عوالم الفرس، ثم يرفقها بصورة لفرس يصلح لمزيد من الأدبية، إنه بصنيعه هذا يقلص من حجم الدلالة، قد يؤدي ذلك إلى تبليد القارئ، ويسهم من ثمة في إفقار التجربة الإبداعية، فالصورة التي يقدمها مخبر (يوسف

الصدوق) تعد فقيرة في علاقتها بالصورة التي كونها عنها في مخيتنا من خلال النص القرآني وغيره « إن غياب الفرس أقوى بكثير من حضوره، فالغياب استتارة ذهنية لكل الأفراس الممكنة- أفراس الواقع والحكايات والمخيال وذكريات الطفولة .. - أما الحضور فلا يشير سوى إلى حال واحدة مخصوصة، قد نرى من خلالها ما يبيحه المائل أمام العين المبصرة وحدها، ولكننا سنظل أسرى ما نرى » (21)

3 . 1 . 1 تجديد الوعي بآليات الكتابة : تصورا وإجراء

هناك نقلة نوعية طرأت على الأدب، بدخوله إلى العوالم الإلكترونية الرقمية، غيرت معه الفكر والنظر إلى النص الأدبي « فهناك مجتمع جديد هو المجتمع الإعلامي الذي تلاشت على سطح نصه الإلكتروني الحدود والخصوصيات، بل تأكلت الهويات واضمحت الفروقات بين الشعوب والثقافات، إذ أن التبادل الرقمي الخارق للحدود والعابر للقارات، قد أعلن عن ميلاد مجموعات بشرية جديدة، يصطلح عليها المجموعات السبرانية أو الافتراضية التي لا ترضى بمنطق المجتمعات القديمة، حيث يشترط مراعاة الروابط اللغوية والعرقية والدينية لقيام مجتمع، إنه المجتمع الافتراضي الأثيري Virtual « (22)

والنقد الثقافي في أطروحاته ومشاريعه يتناغم والأدب الرقمي، ويبحث عما وراء هذه التحولات وهذه الإمكانيات، ويسعى إلى اكتشاف الآفاق المضمرة في الخطاب الرقمي، أيا كان نوعه؛ التي تقبع بعيدا عميقا هناك، تحت أظمار المتن، ومن وراء أقنعة البليغ الفولي (23)

وسنحاول رصد أهم الأنساق التي يقوم عليها الأدب الرقمي، بدءا بأنساق التشكيل التي ينبني عليها النص ، مروراً بالأنساق الثقافية للنصوص الرقمية:

ففي القصيدة الرقمية « تباريح رقمية لسيرة بعضها أزرق » للشاعر مشتاق عباس معن، يظهر نسق المركزية، حيث غدت كلمات السطر الشعري هي أساس الانطلاق، أي أن نص البداية ينتظم على نحو رأسي « أيقنت - أن - الحنظل - موت - يتخمر » هذه الكلمات، تظهر عند وضع المؤشر عليها نصوصا شعرية مقتضبة أو طويلة، تبتدئ بتلك الكلمة

المؤشر عليها وهكذا دواليك، كما أن المساحة المسموحة للمتلقي في التحكم في النص وتعديله وتغييره ، مكّنت من بروز نسق التحول على صعيد بنية النصوص.

أيقنت : أيقنت حين قرأت كتاب الدنا أن الناس توايبت .

أن : أن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها .

الحنظل : الحنظل أدمن شرب بوح المنصاعين لبوح الحزن ز

موت : موت يعدو ...

يتخمر : يتخمر ظلي في الغرفة .

وعن صراع الثقافات في ظل العولمة التي فرضتها التقنية نجد صراع اللغات، فأبناء اللغات المقهورة لم يجدوا مكانا في هذا الموقع إلا بلغات الآخر القوي؛ الذي زواج بين لغته والتكنولوجيا وأوجد لها حيزا ضمنها، وعمل على إثبات الذات ونفي الآخر المختلف، وظهور ثنائية النخبة والهامش وغيرها من الثنائيات. (24)

ويمكن اعتبار الافتراضية نسقا مضمرا ومحتوما، والتي أصبحت هي الملاذ الذي يلجأ إليه الكثيرون هروبا من الواقع بكل ضغوطاته وإكراهاته، لأنه شكل البديل الذي يجد فيه المستخدم كل ما ينقصه في واقعه، فضلا عن الدلالة النسقية والجملة الثقافية والمجاز الكلي والتورية الثقافية والمؤلف المزدوج التي نادى بها النقد الثقافي.

3. 1. 2 مقارنة لعتبات الكتابة الرقمية :

فالغذامي يرى أن مجال النقد الثقافي هو النص الذي يتمدد- والنص الرقمي تحديدا- ليصبح بحجم ثقافة ما بأكملها، ومن ثم فإن هذا النص الذي لم يعد نصا أدبيا جماليا فحسب، لكنه أيضا حادثة ثقافية. (25) وهو من النقاد الذين يدمجون في تحليلاتهم بين فروع العلوم الإنسانية، التاريخية والاجتماعية والسياسية، أي يتسع إلى ما هو خارج مجال اهتمامها، كالأنثروبولوجيا والإثنولوجيا وعلم النفس والفلسفة وعلوم الإعلام وغيرها.

ومن القضايا المثيرة للخلاف، مسألة المجانسة والتعددية ، وهذا يقودنا حتما إلى طرائق عمل أكثر تناعما مع ما هو معروف عالميا، لنصل إلى عالم أقل تعددية ثقافية، ويبين بعض الباحثين كيف اختلف تطور وتنظيم الحضارات والمدنيات القديمة، تبعا لانحيازها تجاه أي من الزمان أو المكان، فالمجتمعات المتحيزة للزمان هي التي سادت فيها ثقافة شفوية، وكان فيها وسيط الاتصال ثقيلًا ولا يتسم بالمرونة، ومن الصعب استنساخه، كألواح الحجارة أو الطين أو الكتابات المنقوشة أو المنحوتة، وكان توجه هذه المجتمعات نحو التقليد وتشديدها على العادات والاستمرارية، وعلى العكس من ذلك ؛ فإن المجتمعات المتحيزة للمكان اعتمدت على وسائط أكثر مرونة، كالورق والأحرف المطبوعة، أدى ذلك إلى انحياز ثقافي نحو المكان في هذه المجتمعات ، والتوسع والسيطرة ... وساعد على الانتشار والتأثير والانتقال في حيز اجتماعي واسع . (26)

إن فضاء التدفقات في المجتمع الشبكي (Net) تُعدُّ سمة من سمات القطاعات الاقتصادية الأكثر تقدما، والشركات الداخلة في مجال التنافس العالمي الشديد. أما الذات () Self فتتحوّل إلى الأنشطة التي يحاول الناس من خلال ممارستها، تأكيد هويتهم في ظروف التغيرات التي يمر بها العالم، والذي يتصف بعدم الاستقرار، ومن هنا التفاعل بين الشبكة والذات، فإن شروط الحياة الإنسانية والخبرة على مستوى العالم، يعاد الآن تشكيلها بصورة جذرية وعميقة.

3. 2 النقد الثقافي بديل منهجي:

يؤكد بعض النقاد على أن النقد الأدبي؛ لم يعد مؤهلا لكشف الخلل الثقافية، المتواري خلف حجب الجمالي والفحولي والمركزي، فكانت دعوته إلى تحويل الأداة النقدية، من أداة في قراءة الجمالي الخالص وتبريره، إلى أداة في نقد الخطاب وكشف عيوبه، ولمعالجة هذه المسألة، نقرأ : « ما هو مغفول عنه حقا هو السؤال الثقافي، إذ أن السؤال الأدبي قد أشبع بحثا ودراسة، ولم يبق للسؤال الأدبي من مجال مفتوح كقراءة لقصيدة التفعيلة، هذا البديل المنهجي الجديد المتمثل في المنهج الثقافي، ظهر في مرحلة، لم

يعد النقد الأدبي قـادرا على تحقيق متطلبات المتغير المعرفي والثقافي الضخم ولا مواكبته، والذي نشهده الآن عالميا وعربيا. (27)

فإذا دققنا النظر في مضامين هذه المرتكزات؛ التي اعتمدها الغدامي في معالجة المسألة الثقافية، لوجدناها مشتقة من صلب الجدل الذي حدث في الساحة الثقافية الأوروبية، اعتبارا من 1965 « ويمكن بسهولة بالغة ملاحظة هذه التحولات مجسدة في أفكار ومنـها هـج شخصيات : بارت وتودوروف وفوكو ودريدا وكريستيفا وإدوارد سعيد، فهو بآرائه تلك مثار إعجاب وتقدير كما يمكن أن يكون مثار نقد واحتجاج ». (28)

3.3 التغريدة : لغز ثقافي .

يمكن تعريف التغريدة- في أبسط تعريفاتها-على أنها موقع تواصل اجتماعي على الأنترنت، حيث يتواصل الأشخاص في رسائل قصيرة تسمى تغريدات، وكل تغريدة مقيدة بعدد محدد من الحروف أو الكلمات أو الأسطر، ويكون بإنشاء حساب خاص بالمستخدم، وقد حققت نجاحا باهرا في الإيرادات، متجاوزة الفيسبوك

وهناك ميل كبير لدى السياسيين والكتاب إلى استخدام التغريدة Twettre وسيلة للتواصل السريع في أوجز عبارة ، فذلك يعد من البلاغة بـمكان، كالحكمة والمثل وتوقيعات الحكام إلى ولايتهم في العصر العباسي، فالغدامي - وهو بصدد مصطلح التورية - يطرح سؤالا: هل نستطيع أن نكتب في أسطر ما كنا نكتبه في صفحات؟ وقد صار الاعتبار بعدد الحروف لا بعدد الأسطر، ويعترف أن هذا الدرس تعلمه من ثقافة تويتر، وأنه تمكن من برمجة ذهنه عند هذه الحدود « وتجربتي الآن هي التحول إلى السطر، بحيث أـجاري نظام التغريدة، وتصبح مقالتي تورية أعصر فيها خلاصة فكري، بما أن اللعبة اللغوية هي لعبة ذهنية في الأساس، وسننـج بمقدار ما نضبط حركتنا الذهنية، وهذا امتحان سأضع نفسي تحته في هذه التوريات. (29)

4. الاستنتاج:

إن الأدب الرقمي إبداع خرج من رحم الوسيط الإلكتروني الذي اجتياح- في ظل العولمة- مناحي الحياة كافة، بسرعة وكثافة وانتشار واسع، وعلى هذا النحو فإننا سنجد العالم قريبا جدا منا، بسبب تغير الوسيلة التي غير العالم، وأسهمت في ظهور أشكال جديدة للتفكير على نحو مخالف.

أظهرت مؤشرات الأبعاد الثقافية تحولا تدريجيا في مسافة السلطة، وذلك بفعل الحرية وتراجع مساحات الفضاءات المحروسة والمحمية، بفعل الانتشار السريع والمكثف للمعلومة. هذه التحولات الجذرية والتفاعلات الحاصلة: علميا واجتماعيا وسياسيا، صارت مطلبا حضاريا وليس نزوة عابرة، مادام إنتاج النص الرقمي يتم في سياق ثقافة علمية تكنولوجية، تتطور بسرعة تفاجئ العقل البشري كل يوم بما هو جديد.

5. الخاتمة:

بوسع تكنولوجيا الاتصال أن تتعدى الحدود الصارمة للجنس الأدبي، فضلا عن مضاعفتها طاقة التخيل لدى المبدع، إنه بالقدر الذي ستتغير فيه وسيلة الفن، ستتغير رسالته على نحو عميق، هذا التحول في الاستخدام يتولد عنه ممارسة للحرية في أبعد حدودها، ودائما كانت الحرية تسمح بإبداع المختلف والمسكوت عنه، ومن ثم ندرك الحرية باعتبارها قيمة إنسانية في حياة الفرد والآخر، ونسعى إلى الدفاع عن مكانة الإنسان باعتباره قيمة القيم ومعنى الكون كله في المنظور الصوفي، في هذا المشروع العلمي الجديد، وبالموازاة فإن السؤال الثقافي ينبغي أن يرافق هذه التجربة الإبداعية الجديدة، لوعينا بأننا إزاء قصة حضارة وإنسان جديد بقدرات هائلة في العقل والفكر، بوسائل الذكاء الاصطناعي في مجتمع أكثر انفتاحا وتحررا.

6. الهوامش:

- ¹ - ينظر السيد نجم : جماليات البلاغة الرقمية في نص الوسائط الحديثة الرواية بين الورقي والرقمي نموذجا ، مجلة فكر العربية العدد 3 2016 الدار البيضاء المغرب ص 34 - 35
 - ² - سعيد يقطين : من النص إلى النص المترابط ، مدخل إلى جماليات الأدب التفاعلي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ط2 2001 ص 9
 - ³ - ينظر عادل نذير : عصر الوسيط ، أبجدية الأيقونة دراسة في الأدب التفاعلي - الرقمي ، ناشرون بيروت ط1 2010 ص 63 - 66
 - ⁴ - ينظر عادل نذير : المرجع نفسه ، الصفحات 80 ، 83 ، 103
 - ⁵ - ينظر حمد محمود الدوخي : المونتاج الشعري في القصيدة المعاصرة ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق 2009 ص 33
 - ⁶ - السيد نجم : المجلة نفسها ص 35
 - ⁷ - سعيد يقطين : النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية ، نحو كتابة عربية رقمية ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ط 1 2008 ص 92
 - ⁸ - ينظر السيد نجم : التجريب والتقنية الرقمية في المشهد الروائي العربي - الرواية الرقمية - ضمن مؤلف جماعي ، التشكل والمعنى في الخطاب السردي ، دار الانتشار العربي الرياض ط 1 2013
 - ⁹ - سعيد يقطين : النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية ص 13
 - ¹⁰ - ينظر زهور كرام : الأدب الرقمي ، أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية ، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة ط 1 2009 ص 62
 - ¹¹ - ينظر محمد محمود حسين محمد : جماليات التشكيل السردي الرقمي القصير (حفات جمر) لإسماعيل البويحيوي أنموذجا مجلة فكر العربية العدد الثالث دجنبر 2016 دار نشر (كلمات) الدار البيضاء ، المملكة المغربية ص 55
 - ¹² - ينظر نبيل علي : الثقافة العربية وعصر المعلومات ، رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي ، عالم المعرفة عدد خاص 265 2001 ص 517.
 - ¹³ - Antony - guidders : Modernity and self identity , press combridge.
- نقلا عن عبد الغني عماد : الهوية والمعرفة ، المجتمع والدين ، علم اجتماع المعرفة : الاتجاهات الجديدة والمقاربات العربية ، دار الطليعة - بيروت ص 219

- 14 - ينظر فاطمة البريكي : الرواية التفاعلية ورواية الواقعية الرقمية مقال رقمي
<http://www.middle.east.online.com/?id=312311> 28/07/2012 16 :55
- 15 - محمد محمود حسين محمد : مرجع سابق ص 61
- 16 - نبيل علي : تقانة المعلومات والثقافة ، رؤية عربية ، دار العين للنشر الشارقة ط 1 2007 الفصل الثالث ، الشريحة 22 القرص المصاحب للكتاب .
- 17 - ينظر نبيل علي : المرجع نفسه، الفصل الثالث ، الشريحة 22 القرص المصاحب للكتاب .
- 18 - سعيد يقطين : النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية ص 50
- 19 - سعيد بنكراد : وهج المعاني ، سيميائيات الأنساق الثقافية ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ط 1 2013 ص 101
- 20 - ينظر لببيرة خمار : حاشية على ظلال العاشق ، التاريخ السري لكموش ، نحو وعي بآليات الكتابة الرقمية ، مجلة فكر العربية ، العدد الثالث 2016 ص 69-81
- 21 - سعيد بنكراد : المرجع نفسه ص 128 - 129
- 22 - عبد الغني بارة : الهرمينوطيقا والفلسفة ، نحو مشروع عقلي تأويلي منشورات الاختلاف الجزائر 2008 ص 400
- 23 - ينظر عبد الله محمد الغدامي : تأنيث القصيدة والقارئ المختلف ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ط 2 2005 ص 7
- 24 - ينظر عبد الله الغدامي : الفقيه الفضائي ، تحول الخطاب الديني من المنبر إلى الشاشة ، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب ط 1 2011 ص 41 والثقافة التلفزيونية ، سقوط النخبة وبرز
- الشعبي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ط 1 2004 ص 11
- 25 - ينظر عبد الله الغدامي : النقد الثقافي ، قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، المركز الثقافي العربي ، ط 1 2000 ص 78
- 26 - Annis , H , A : The bias of communication , Toronto , univesity of Toronto , press 1995

- نقلا عن عبد الغني عماد : ا المرجع السابق ص 223
- ²⁷ - ينظر عبد الله الغدامي : تأنيث القصيدة والقارئ المختلف ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ط 2005 ص 7
- ²⁸ - عبد الله إبراهيم : النقد الثقافي ، مطارحات في النظرية والمنهج والتطبيق ، مجلة فصول الهيئة المصرية العامة للكتاب العدد 63 2004 ص 192
- ²⁹ - الغدامي عبد الله: وهذا باب في التوريق، التوريقات، 1-100، 2019، ط 1، المغرب، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ص 7 8،